

الكشاف

لا تراءى نارهما كأن بعضهما يرى بعضا على سبيل المجاز . والمعنى : إذا كانت منهم
بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها . وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر . ويجوز أن
يراد : إذا رأتهم زبانيتهما تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للإنتقام منهم . الكرب
مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الجنّة بأن عرضها السموات والأرض . وجاء في
الأحاديث : أن لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا . ولقد جمع القرآن على أهل النار أنواع
التضييق والإرهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصبوا فيه تراصا كما روي عن ابن عباس Bهما
في تفسيره أن يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في
السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع . وقيل : يقرب مع كل كافر شيطانه في سلسلة
وفي أرجلهم الأصفاد . والثبور : الهلاك ودعاؤه أن يقال : واثبورا أي : تعال يا ثبور
فهذا حينك وزمانك " لا تدعوا " أي يقال لهم ذلك : أو هم أحقأ بأن يقال لهم وإن لم يكن
ثمة قول ومعنى " وادعوا ثبورا كثيرا " أنكم وقعتم فيما ليس ثبور لشدته وفضاعته أو لأنهم
كلما نصجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم .

" قل أذلك خير أم جنة التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا " لهم فيها ما يشاؤون
خالدين كان على ربك وعدا مسئولا " الراجع إلى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما
يشاؤون . وإنما قيل : كانت لأن ما وعده الله وحده فهو في تحقيقه كأنه قد كان . أو كان
مكتوبا في اللوح قبل أن برأهم بأزمنة متطاولة : أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم . فإن قلت :
ما معنى قوله : " كانت لهم جزاء ومصيرا " ؟ قلت : هو كقوله : " نعم الثواب وحسنت
مرتفقا " الكهف : 29 قدم العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتعم إلا بطيب المكان وسعته
وموافقته للمراد والشهوة وأن لا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثائه الموضع وضيقه وظلمته
وجمعه لأسباب الإجتواء والكرهية فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء . والضمير في " كان "
لما يشاؤون . والوعد : الموعد أي : كان ذلك موعودا واجبا على ربك إنجازه حقيقا أن
يسئل ويطلب لأنه جزاء وأجر مستحق . وقيل : قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم : " ربنا
وآتينا ما وعدتنا على رسلك " آل عمران : 194 ، " ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وفي الآخرة حسنة : البقرة : 201 ، " ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم " غافر : 8

" ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول : أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا
السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وعباءهم

حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا "